التدابير الوقائية لحماية البيوت من الفاحشة على ضوء ماجاء في سورةيوسف «عليه السلام»

د. محمد بن سالم بن محمد البيضاني الزهراني[1]

المستخلص

تناولت البحث التدابير الوقائية لحماية البيوت من الفاحشة على ضوء ما جاء في سورة يوسف عليه السلام ،الأسباب وسبل الوقايةدراسة موضوعية، وهدف البحث إلىالإسهام في توظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة والنهوض بالأمة. والتحذير من الانحراف نحو الشهوات، وبيان أسبابها في ثنايا عرض القصص القرآني؛ لأن الغاية منه هو أخذ العبرة والعظة. وذلك في خطة تكونت من مقدمة،وتمهيد ومبحثين،وخاتمة. تناولت في المقدمة: وفيها أهمية البحث،وأهدافه، وحدوده،وهيكله. والتمهيد: وفيه تحريرالواقعة،والعمر الذي وقعت فيه. واتبعت المنهج الاستقرائي والتحليلي، وتوصلت من خلال البحث على جملة من النتائج والتوصيات، من أبرزها، أن العزم يبدأ بفكرة، فإذا تطورت الفكرة تحولت إلى عمل، لذا فإن الإنسان مأمور بدفع الخواطر المزعجة بكافة أنواعها كوسيلة من وسائل الوقاية من الانحراف. أن كل هذه الأحداث الواردة في القصة وقعت على الصحيح قبل نبوته، لما تقرر من أن الأنبياء تبعث حين بلوغ الأشد؛ وهو أربعين سنة.

(١) الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه بكلية الشريعة وأصول الدين – جامعة الملك خالد – أبها.

المقدمـــة

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان، جلَّ عن الأشباه والأنداد، وتنزَّه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع العباد. ثم أما بعد:

فإن قصة يوسف–عليه السلام- تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة، ومع أن المنهج القرآني واحد في موضوعه وفي أدائه؛ إلا أن قصة يوسف –عليه السلام- تبدو وكأنها المعرض المتخصص في عرض هذا المنهج من الناحية الفنية للأداء.

والقرآن الكريم يعرض القصص معتمدًا على أهم الأحداث الواردة فيها مع غض النظر عن كثير مما لا علاقة له بهداية القلب، ولا تربيته، ولا تقويم السلوك، بل يدل المكان عنها، كما لا يعتني بتسجيل الأسماء لأنها لا فائدة من ذكرها، بل المهم هو الحادثة وما فيها من العبر والعظات.

وكذلك فإنه يحافظ في عرض القصة على نظافة الأداء وعدم الإخلال به، فحتى مع عرض القصة لم يتخل عن طابعه النظيف مرة واحدة.

ومع صدق التصوير والتعبير عن هذا النموذج البشري الخاص بكل واقعيته، فإن الأداء القرآني لم يتخلَّ عن طابعه النظيف مرة واحدة، حتى وهو يصور لحظة التعري النفسي والجسدي الكامل بكل اندفاعها وحيوانيتها، وظلت القصة صورة نظيفة للأداء الواقعي الكامل مع تنوع الشخصيات وتنوع المواقف.

أهمية البحث:

١. إن من أخطر الأمراض التي تهدد أمن المجتمعات: مرض الشهوات

والشبهات، وقد سمَّى الله عز وجلمثل هذا الوباء مرضاً في قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَخضَعنَ بِالقَولِ فَيَطمَعَ الَّذِي فِي قَلبِهِ مَرَض﴾[الأحزاب:٣٢]. لذا جاء هذا البحث لتسليط الضوء على بعض منها.

٢. أن البيوت هي الأساس في بناء كل مجتمع وحمايته من أمراض الفواحش.

أهداف البحث:

١. الإسهام في توظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة والنهوض بالأمة.

٢. التحذير من الانحراف نحو الشهوات، وبيان أسبابها في ثنايا عرض القصص القرآني؛لأن الغاية منه هو أخذ العبرة والعظة.

٣. بيان دواعي الوقوع في الفاحشة من آيات القرآن الكريم صراحةً أو تحليلاً.

٤. بيان أسباب النجاة من الوقوع في الفاحشة من القرآن الكريم الذي أنزل نورًا وهدى للناس في كل زمان ومكان.

حدود البحث:

اعتمدتُ في هذا البحث على ما ذكره الله عز وجل في سورة يوسف –عليه السلام– على وجه الخصوص في قصته المعروفة مع امرأة العزيز، وجعلتُمن مفاصل الآيات الواردة في القصة أسبابًا وآثارًا. فإن الله عز وجلذكر في هذه القصة الإشارات الواضحة، والمعالم البارزة في لأسباب الوقوع في الفاحشة وطريق النجاة منها.

وقد جعلت من القصة أسبابًا: كالإغراء، والمراودة، والخلوة،

والعزم. وآثاراً: كالظلم، وضياع النسل، وضعف الرقابة. وطريقًا إلى النجاة من الوقوع: كالدعاء، ومفارقة البيئة الفاسدة، والإخلاص لله تعالى.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وأهدافه، وحدوده، وهيكله.

التمهيد: وفيهتحرير الواقعة، والعمر الذي وقعت فيه.

المبحث الأول: دواعي الوقوع في الفاحشة على ضوء ما جاء في سورة يوسف-عليه السلام - وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الهم والخواطر السيئة.

المطلب الثاني: الخلوة.

المطلب الثالث: الإغراء.

المطلب الرابع: المراودة.

المطلب الخامس: ضعف المراقبة.

المبحث الثاني: سبل الوقاية من الفاحشة على ضوء ما جاء في سورة يوسف. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإخلاص - قيام المانع.

المطلب الثاني: الدعاء.

المطلب الثالث: التدخل الإلهي - الحماية الإلهية.

المطلب الرابع: التنبيه الإلهي.

المطلب الخامس: مفارقة البيئة الفاسدة.

التمهيـــــد

تحرير الواقعة، والعمر الذي وقعت فيه:

تكمن أهمية هذا المطلب في رفع كثير من الشكوك التي لربما تطرأ على مقام النبوة، أو الطعن فيها؛ لأنه ربما يقال:إن نبيًّا همَّبالفاحشة، وهو مخلٌّبمقام النبوة على القول في وقوع اللَّمَم.

وإذا تحرَّر وقت وقوع الحادثة وأنها قبل النبوة-لأن إيفاد النبوة غلب أن يكون في سن الأربعين- ارتفع هذا قبله.

والحادثة قطعًا وقعت بعد بلوغ الأشد، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ [يوسف: ٢٢]. والأشد: القوة.

قال ابن عباس-رضي الله عنه-: الأشد ثلاث وثلاثون سنة[١]. وقال الحسن: أربعون سنة[٢]. وقال الضحاك: عشرون سنة[٣]. وقيل خمس وثلاثون وتمامه أربعون[٤].

وترتيب الآيات يقتضي أن تكون الواقعة بعد النبوة، لأنه أخبر أنه لما بلغ الأشد آتاه الحكم والعلم على القول بأنها النبوة، ثم ما حصل بعد ذلك من المراودة. ويدل عليه ما رآه من البرهان والعصمة التي وقعت له.

ويحتمل أن تكون الواقعة في سن الأربعين وقبل النبوة، إذ لا دليل واضح يدل أن الأشد هو كمال الأربعين وبهذا تكون الواقعة قبل النبوة.

ولعل هذا أسلم في الجزم في ورود زمن الواقعة، لأنه لا دليل أنالأشد هو تمام الأربعين، لذا قال الطبري[٥]: "والأشد: هو انتهاء قوته وشبابه، وجائز

(١) ينظر: زاد المسير ٢١١/٥.
(٢) ينظر: زاد المسير ٢١٣/٥.
(٣) ينظر: تفسير القرطبي ١١/٤..
(٤) ينظر: تفسير القرطبي ١٢/٤.
(٥) هو: محمد بن جرير الطبري مفسر، ومؤرخ، من أشهر آثاره: "جامع البيان في تفسير القرآن، وله تاريخ كبير معروف"، توفي سنة ٣١٠ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٣٤/١٤.

أن يكون أتاه ذلك وهو ابن ثماني عشر سنة، وجائز أن يكون أتاه وهو ابن عشرين سنة، وجائز أن يكون أتاه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، ولا دلالة في كتاب الله ولا أثر ولا اجتماع على أي ذلك كان"[1].

وقد خاض بعض المفسرينفي هذا من باب التقدير قائلاً:"نتوقع أن يكون سنها الأربعين عندما يكون يوسف في الخامسة والعشرين أو حولها، وهي السن التي نرجح أن الحادثة وقعت فيها، وهي ما تترجمه شواهد الحال"[2].

ولا شك أنه لا دليل يدل على مطلق العمر فيهما، ولكنه رجم بالغيب وحكم بالغالب،وفائدته: هو الجزم بأن الواقعة إنما وقعت قبل النبوة لا بعدها؛ وهو ما عليه أكثر المفسرين[3].

المبحث الأول

دواعي الوقوع في الفاحشة على ضوء ما جاء في سورة يوسف ـ عليه السلام ـ

المطلب الأول

الهم والخواطر السيئة

العزم يبدأ بالفكرة، فإذا تطورت الفكرة تحولت إلى عمل، لذا فإن من أعظم مقاصد الشريعة: دفع الخواطر السيئة.

وحديث النفس في ذاته لا إثم فيه ما لم يحدث عملاً، لكون الإثم فيما يترتب على العمل لا على الأفكار، ويشهد لهذا ما جاء عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في قوله:«إن الله عفا عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم تعمل أو

(١) تفسير الطبري ١٥/٢٣.

(٢) ينظر: الظلال ٤/١٥٩.

(٣) وقد جزم به ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز ٦/٢١١. وأبو حيان في البحر المحيط ٥/٣٥. وابن عاشور في التحرير والتنوير ٦/٤١١.

تتكلم»[1].

والقول جانب من جوانب العمل لكونه يشترك في أثر الخواطر القلبية على الإنسان، لذا كان الواجب دفع الخواطر السيئة الواردة على القلب.

وقد تحدث المفسرون –بلا شك– عن (الهم) الوارد في الآية، ولستُ بصدد ذِكر ما قالوه عن هذه الآية، فما ذكروه فيه الكفاية والغنية[2]،ولكنبات من المهمالإشارة إلى أهمية جعل (الهم) المسبوق بالخواطر الواردة على الإنسان إلى فعل المعصية سببًا من أسباب الوقوع في الفاحشة، لذا يتكلم العلماء هنا عن وجوب سد الذرائع.

والآية الكريمة صدرت (الهم)بكونه وقع ابتداء من امرأة العزيز، كما قال جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَد هَمَّت بِهِ﴾[يوسف: ٢٤]، فالهم وقع من امرأة العزيز أولاً مما يعني أنها الباب الأول لهذا الأمر قبل الحديث عن وقوع يوسففي الهم. وأكد ذلك بـ "قد" المفيدة لتحقق وقوع الهم من المرأة.

والهم بطبيعة الحال مسبوق بما يعضده من الأسباب الداعية إليه قبله، كالنظر، والمعاملة، والخلوة؛ وما إلى ذلك.لذا كان من الواجب سد هذه الأبواب عموماً قبل أن تصل إلى حتمية الهم.

ولعل المجتمع الذي كان يعيش فيه نبي الله يوسف كان مجتمعًا يعج بالاختلاط والسفور، وفي الآيات الكريمة ما يشهد لذلك كما سيأتي -إن شاء الله-.

والحماية الإلهية لهذا النبي الكريم موجودة في بداية سياق هذه السورة المباركة، بل السورة كلها إيحاءات بالعناية السابقة له من القتل،

(١) رواه مسلم في صحيحه– باب الإيمان– ٣/٤١١ برقم ١١٥١.

(٢) وكما قال أبو حيان: "طوَّل المفسرون في تفسير هذين الهمين، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق". البحر المحيط ٦/٢٥٧.

والأسر، والاستعباد، والنقد،والزنا، لذا كان من البعد القول إن يوسف– عليه السلام– وقع في الهم الذي وقعت فيه امرأة العزيز.

نعم وقع في الهمكما صرحت به الآية الكريمة، ولكن ما طبيعة هذا الهم؟ وما طريقته؟ أم أن الآية وقعت كما يقال على سبيل المشاكلة؟

وكما سبق أن بيَّنتُ أني لن أخوض في هذه المسألة ففي كتب التفيسر ما يغني ويكفي، ولكني سأعرج على بعض الآراء التي لا تمت إلى الآية بصلة، والتي فيها ما يدل على تشويه مقام النبوة.

فمن ذلك ما قيل: إنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته[١]. كما قال ابن عباس: حل الهميان[٢]، وجلس منها مجلس الخاتن[٣]. وعنه أيضًا: استلقت على قفاها وقعد بين رجليها ينزع ثيابه[٤]. وقال سعيد بن جبير: أطلق تكة سراويله[٥]. وقال مجاهد: حل السراويل حتى بلغ الإليتين[٦].

والغريب أن يعقِّب القرطبي[٧] في تفسيره على هذه الأقوال بقوله: "وإلى هذا القول ذهب معظم المفسرين وعامتهم"[٨].

وهذا من أعظم الغلط في كتب التفسير، والأمر كما يقول أبو حيان[٩]: "طوَّل المفسرون في تفسير هذين الهمين، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق"[١٠].

(١) تفسير القرطبي ١٤/٥. البحر المحيط ٣٣١/٣.
(٢) الهميان: طرفا الإزار. ينظر: لسان العرب ٣٣١/٧.
(٣) تفسير القرطبي ١٤/٥. البحر المحيط ٤٢/٣.
(٤) تفسير القرطبي ١٣/٥. البحر المحيط ٤٢/٣.
(٥) تفسير القرطبي ٣١/٤. البحر المحيط ٣٣٥/٦.
(٦) تفسير القرطبي ٣٢/٤. البحر المحيط ٣٣٥/٦.
(٧) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الأندلسي، من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أشهر آثاره: "الجامع لأحكام القرآن"، توفي سنة: ٦٧١ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ٣٢٢/٥.
(٨) تفسير القرطبي ٣١/٤.
(٩) هو: محمد بن يوسف بن علي، أبو حيان الغرناطي الأندلسي، صالح متعبد، من كبار العلماء بالعربية والتفسير، من أشهر آثاره: "البحر المحيط"، توفي سنه: ٧٤٥هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ٢٥٢/٧.
(١٠) البحر المحيط ٢٥٧/٦.

والآية الكريمة ليس فيها شيء من هذه الأقوال أبدًا، وليس فيها إشارة إلى ما قالوه؛ بل أطلقت وقوع الهم منه –عليه السلام–.

فإذا كان العلماء قد تنازعوا في وقوع (الهم)، فكيف يقال بعد هذا أنه وقع منه ما هو أكبر من الهم؟

وليس في الآية الكريمة إلا (همًّا)، والهم ليس هو الفعل بل هو السبب المؤدي إليه، وما نقل من أنه أطلق تكة سراويله وأنه حلها وجلس منها مجلس الرجل من امرأته؛ كل هذه الأقوال زائدة على مجرد (الهم)الذي صرحت به الآية. كما أنها لم تنقل عن كبار المفسرين.

لذا قال أبو عبيد القاسم بن سلام[1]: "وقد أنكر قوم هذه الأقوال، والقول ما قال متقدموا هذه الأمة، وهم كانوا بالله أعلم أن يقولوا في الأنبياء– عليهم السلام– من غير علم"[2].

ومثله القول أنها: همَّت بيوسف أن يفترشها، وهمَّ بها يوسف أن تكون له زوجة. فإنه من الغلط بمكان، وهو لا يليق بمقام الأنبياء –عليهم السلام–.

وقال ابن تيمية[3]: "وبعض الناس يذكر أنه –عليه السلام– وقع في بعض مقدماتها، مثل ما يذكرون أنه حل السراويل وقعد منها مقعد الخاتن، ولا مستند لهم فيه إلا النقل عن بعض أهل الكتاب، وقد عرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم، كما قالوا في سليمان ما قالوا، وفي داود ما قالوا"[4].

لذا قال البغوي[5]: "وهذا التأويل وأمثاله غير مرضية لمخالفتها أقاويل

(١) هو: القاسم بن سلام الهروي، عالم لغة وفقه وحديث، من أشهر آثاره: "غريب الحديث"، توفي سنة ١٥٧هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ٦/٦٦٥.

(٢) معالم التنزيل ٤/٢٢٨.

(٣) هو: تقي الدين ابن تيمية، الإمام، شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، آية في التفسير والأصول، من أشهر آثاره: "الفتاوى، ومنهاج السنة"، توفي سنة: ٧٢٨ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ١/١٤٤.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤/٣١.

(٥) هو: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي يلقب (محيي السنة) عالم بالتفسير واللغة، من أشهر آثاره: "معالم التنزيل"، توفي سنة٥١٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٧/٧٧٥.

القدماء من العلماء الذين يؤخذ عنهم الدِّين والعلم"[1].

ومقام الأنبياء أرفع من هذا، فهم مؤاخذون على الخطرة واللمحة؛ فضلاً عن العزم على الخطيئة.

والمقصود من هذا أن القول بأن الهم هو الانصراف عن مواقعة الزنا بعد القدرة عليه من أعظم الخطأ، ولأنه غلب على كتب التفسير اختلاطها بمرويات بني إسرائيل ففي التوراة والإنجيل من القصص المستنقصة لمقام الأنبياء ما لا يحصى كثرة؛ سيما أنبياء بني إسرائيل كداود وسليمان –عليه السلام–.

ومن الأدلة التي ظهرت لي في بطلان مثل هذه الأقوال،إخبار الله تعالىعنه بالهرب والفرار للخروج من المكان الذي كانت فيه امرأة العزيز، وهو ما يؤيد الفرار من الفاحشة رأسًا فضلاً عما هو دون ذلك.

وقد تهكم الزمخشري[2] بهذه الأقوال ونسبها إلى من يسميهم (الحشوية والمجبرة)[3]،حتى قال ابن عاشور[4]: "وقد خبط صاحب الكشاف في إلصاق هذه الروايات بمن يسميهم الحشوية والمجبرة، وهو يعني الأشاعرة، وغض بصره عن أسماء من عزيت إليهم هذه التأويلات (رمتني بدائها وانسلت)"[5].

والمقصود هو أهمية دفع الخواطر السيئة على الإنسان والتي تقود إلى ما لا يحمد، والآية الكريمة تعضد ذلك بما يدل على وجوب تربية القلب ودفع الواردات التي تضره.

(١) معالم التنزيل ١٤١/٤.

(٢) هو: محمود بن عمر الخوارزمي، جار الله. عالم باللغة والأدب والتفسير، جاور بالمسجد الحرام فلُقِّب بجار الله، من أشهر آثاره: "الكشاف"، توفي سنة: ٥٣٨ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي: ٣٣٥/٣.

(٣) الكشاف ٣١/٢.

(٤) هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، من أشهر آثاره: "التحرير والتنوير"، توفي سنة: ١٣٩٣ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ١٧٤/٦.

(٥) التحرير والتنوير ١١/٦.

ومن أحسن ما ذكر هاهنا قول ابن تيمية: "والمقصود أن يوسف لم يفعل ذنبًا ذكره الله عنه، وهو سبحانه لا يذكر عن أحد من الأنبياء ذنبًا إلا ذكر استغفاره منه، ولم يذكر عن يوسف استغفارًا من هذه الكلمة؛ فعلم أنه لم يفعل ذنبًا"(١).

المطلب الثاني

الإغـــــراء

المتأمل لقوله سبحانه عن امرأة العزيز: ﴿وَقَالَت هَيتَ لَكَ﴾[يوسف: ٢٣]،يتعجب لهذه اللغة الجريئة في الدعوة إلى الفاحشة، وهي عبارة مليئة بالتعريض والإغراء.

وهذه الدعوة الجاهرة لا تكون أول دعوة من المرأة، إنما تكون في الدعوة الأخيرة، وقد لا تكون أبدًا، إذا لم تضطر إليها المرأة اضطرارًا.

والنص هنا صريح وقاطع في أن رد يوسف المباشر على المراودة السافرة كان هو التأبيالمصحوب بتذكر نعمة الله عليه.

و﴿هَيتَ لَكَ﴾أي: هلُّم وأقبل وتعال، ولا يفيد الخلاف هنا هل هي كلمة سريانية، أو قبطية(٢)، المهم أن المقصود من وراء هذه الكلمة هو طلب الإقبال عليها، وهو أعظم أنواع الإغراء الذي واجهه يوسف –عليه السلام–.

وهي عند التعريف تعني: تهيأت لك، من الهيأة وهي الحالة الأخيرة التي صارت إليها.

قال ابن عاشور: "واللام في "لك" لزيادة بيان المقصود بالخطاب، ويظهر أنها طلبت منه أمرًا كان غير بدع في قصورهم بأن تستمع المرأة بعبدها

(١) مجموع الفتاوى ١١٧/١٣.

(٢) معالم التنزيل ٢١١/٥. تفسير القرطبي ٢٢٥/٥.

كما يستمتع الرجل بأمته، ولذلك لم تتقدم إليه من قبل بترغيب؛ بل ابتدأت بالتمكين من نفسها"[1].

وقد وردت روايات لا تليق بأحوال الأنبياء، كما هي العادة في سرد الروايات الباطلة عند ذكر الأحداث القرآنية المتعلقة بالأنبياء –عليهم السلام–.

كالقول إن يوسف امتنع عن قبول إغرائها بحوار دار بين امرأة العزيز ويوسف –عليه السلام–، وهو مروي عن السدي حيث قال: "لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف جعلت تذكر محاسنه وتشوقه إلى نفسها، فقالت: ما أحسن شعرك! فقال: أول ما ينتثر من جسدي، فقالت: ما أحسن عينك، فقال: أول ما تسيل من وجهي في قبري، فقالت: ما أحسن وجهك، فقال: هو للتراب يأكله"[2].

فهذا الأثر المنقول في كتب المفسرين لا يصح بحال وأمارات الكذب عليه واضحة، وقد نقله القرطبي بدون سندٍ مُرضٍ بقوله: "وفي الخبر والغالب على الظن أن السدي تلقاه من أهل الكتاب، ولهُ رواياتٍ أخرى قريبة من هذا الخبر تشبه المرفوعات إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– والغالب أنه أخذها من أهل الكتاب"[3].

وقد أحسن الرازي[4] في نقله عن يوسف –عليه السلام– حيث قال: "أنه واجه كلامها بثلاثة أشياء، أحدها: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣]، والثاني: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣]، والثالث: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

(١) التحرير والتنوير ٥/٤٥.
(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٥/٢٥. والقرطبي في تفسيره ٥/٢٢٥.
(٣) تفسير القرطبي ٥/٢٢٥.
(٤) هو: محمد بن عمر بن الحسن التيمي المفسر، أوحد زمانه في المعقول، من أشهر آثاره: "مفاتيح الغيب، وأساس التقديس"، توفي سنة: ٦٠٦ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي: ٥/١١.

[يوسف: ٢٣]. ثم قال: وهذا الترتيب في غاية الحسن، وذلك لأن الانقياد بأمر الله من أهم الأشياء لكثرة إنعامه وألطافه، وأيضًا اللذة القليلة إذاتبعها حذر شديد فالعقل يقتضي تركها، وقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ،إشارة إليه"[١].

وهذه الأجوبة كلها بمثابة صد المغريات الواردة على الإنسان وعلى قلبه، وهي كالترياق لهذه الأوبئة المنتشرة في زماننا اليوم.

والإغراء في النساء أكثر منه في الرجال، لذا فقد أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– أنهن:«أكثر أهل النار»[٢].

والقرآن الكريم يرشدنا إلى مواجهة مثل هذه المغريات بتذكر نعم الله تعالى. فعلى الإنسان الالتجاء إليه بالتعوذ حيث قال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾[يوسف: ٢٣] أي: أعوذ بالله وأتحصن به فهو يعيذني أن أكون من الجاهلين الفاسقين، وهو نظير ما وقع لمريم ابنة عمران، حيث قالت للملك الذي تمثل لها بشرًا سويًّا: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾[مريم: ١٨].

وقد أغلظ السيد رشيد رضا[٣] على هذا التابعي الجليل(السدي) – فيما رواه أعلاه – ، ونسبه إلى الجهل بالدِّين وقلة الأدب[٤].

وهو لا يليق، فاللوم إنما ينصب على من روَّج لهذه الروايات لا على من نقلها، فالناقل لا يلحقه ذم بنقلها لتعدد أغراض النقلة في النقل.

وضعف ما دار بينهما من حوار بقوله: "ونقل رواة الإسرائيليات عنها وعنه من الوقاحة ما يعلم بالضرورة أنه كذب، فإن مثله لا يعلم إلا من الله تعالى،أو بالرواية الصحيحة عنها أو عنه"[٥].

(١) مفاتيح الغيب ٣١٥/٦.

(٢) رواه الترمذي في سننه– ٣١١/٦. من حديث أبي هريرة وسنده صحيح.

(٣) هو: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني، من أشهر آثاره: "مجلة المنار، وتفسير القرآن الكريم"، توفي سنة: ١٣٥٤ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ١٢٦/٦.

(٤) تفسير المنار ٣١١/٥.

(٥) المرجع السابق.

والمقصود هو محاولة رصد مثل هذه المغريات باللجوء إلى الله تعالى وتذكر نعمه عليه الظاهرة والباطنة، فنسأل الله أن يعصمنا بعصمته، وأن يوفقنا لطاعته، إنه على كل شيء قدير.

المطلب الثالث

المـــــــــراودة

ربما كان جعل "المراودة" سببًا من دواعي الوقوع في الفاحشة غريبًا، حيث إنه لا يحصل بشكل واضح كما وقع في قصة يوسف –عليه السلام– إلا إذا جعلنا المقصود من المراودة هو: تطويع سبل الفاحشة وتسهيل الوصول إليها.

والمراودة: مفاعلة من الإرادة والطلب[1]،وهي تقع بكل ما يصدق عليه اللفظ من المفاعلة سواء بالأقوال، أو الأفعال، أو الهيئات، والأحوال.

وفي لفظ (المراودة) من معنى اللين والرفق في تلبية الرغبة ما لا يخفى، والعرب تقول: فلان يمشي رويدًا أي: برفق، فالمراودة: الرفق في الطلب، يقال في الرجل: راودها عن نفسها، وفي المرأة: راودته عن نفسه[2].

وقد حكى القرآن الكريم أن امرأة العزيز ابتدأت فعل المراودة ليوسف بقوله: ﴿وَرَاوَدَتْهُ﴾، وصور المراودة كثيرة، والقرآن ذكر هذه الصورة في المراودة وهي مراودة الهيئة، وتتضح بصورة كاملة عند قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾.

وقد جعل ابن عاشور لفظ (المراودة) مقتضيًا للتكرير، لأن صيغة المفاعلة مستعملة في التكرير أي: من طرفها، ومع هذا فقد سجَّل القرآن عن يوسف –عليه السلام– ثباته على العفاف، والوفاء، وكرم الخلق[3].

(١) تفسير القرطبي ٣١١/٤.
(٢) معاني القرآن للنحاس ٣٥/٣.
(٣) التحرير والتنوير ٣١١/٦.

والمراودة إنما وقعت من طرف لا من طرفين، والمفاعلة هنا ليست على بابها كما هو قول أكثر علماء التفسير[1].

وأطلق الرازي القول: "أنه حاول كل واحد منهما الوطء والجماع"[2]. وهو خطأ فيوسف–عليه السلام– لم يحاول ذلك، ولا يمكن تفسير (الهم) بإرادة العزم على الفعل كما سبق بيانه، فالمفاعلة تقديرية بأن اعتبر العمل من جانب والممانعة من جانب بمنزلة مقابلة العمل بمثله كما أفاده ابن عاشور[3].

وقوَّاه الراغب[4] بقوله: "المراودة: أن تنازع غيرك في الإرادة فتريد غير ما يريد، أو ترود غير ما يرود". وذكر شواهد الآيات في القصة[5].

والمقصود أن امرأة العزيز كما خابت في التعريض له بالمغازلة والمهازلة، تنزلت إلى المكاشفة والمصارحة بقولها: ﴿هَيتَ لَكَ﴾.

والآية الكريمة تؤكد خطر تسهيل أسباب الفاحشة بأي شكل من أشكال فعلها، ولقد تغنى كثير من دعاة الفاحشة في عرض صور وأشكال المراودة في القنوات والإذاعات بشتَّى صورها وفنونها.

وقد سبق أن بيَّنتُ أن المراودة هي المنازعة في الإرادة، وقد ظهرت شتى المنازعات في الإرادة الطيبة والنية الصالحة بصور لا حصر لها في ظل الانفتاح الثقافي اليوم عبر وسائل التواصل مطلقًا، وقد كانت المجتمعات إلى عهد قريب تنعم بالعفة والحصانة قبل ظهور مثل هذه النوافذ، وقلَّما سلمت المجتمعات من المشاركة فيها إلا وأصيبت بشيء من وحلها، والواجب هو إيجاد البدائل والحلول المضادة لكبح جماح هذا الخطر الغازي على البيوت والقلوب.

(١) البحر المحيط ٣١/٤. التحرير والتنوير ٣٣٥/٥.

(٢) مفاتيح الغيب ٤١١/٦.

(٣) التحرير والتنوير ١٣/٥.

(٤) هو: الحسين بن محمد الأصفهاني المعروف بالراغب، أديب، من الحكماء، من آثاره: "المفردات في غريب القرآن، وأفانين البلاغة"، توفي سنة ٥٠٢هـ. ينظر: الاعلام للزركلي ٣٣٣/٦.

(٥) المفردات ١٧٥.

المطلب الرابع
الخلـــــــــوة

تعد الخلوة سببًا ظاهرًا في الدعوة الصامتة إلى الزنا، وإن قوي الوازع عند أكثر الناس، وفي قصة يوسف–عليه السلام- لم تقع الخلوة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾[يوسف:٢٣]، في حث يوسف على عمل منه، لأن التغليق ابتدأ بمراودة امرأة العزيز له، وآل الأمر إلى غلق الأبواب؛ لتتم بذلك المراودة من غير خوف.

لذا فقد كان محاربة الخلوة مطلبًا مهمًّا لإغلاق الأبواب النافذة إلى السبل الميسرة إلى الفاحشة.

وربما كان من بداهة الأسئلة هنا: كيف وقعت هذه الخلوة؟ وما هي تداعيات الاستجابة إليها؟

والجواب: أن القرآن الكريم سكت عن هذا ولم يبيِّنه، لأن المقصود وقوع الخلوة بينهما، إذ لا فائدة من ذكر التداعيات لذلك.

وقد خاض بعض المفسرين في هذا بالقول: "إن الخلوة افتعال من امرأة العزيز، بدليل حركة تغليق الأبواب"[(١)].

ثم إذا أضفنا إلى هذا ضعف الرقابة الزوجية، كما قيل: إنَّ زوجها كان عاجزًا ديوثًا، لذا فقد عدلت المرأة إلى غيره"[(٢)] -إذا أضفنا هذا- كان القول بأن الأسباب والتداعيات كانت حاضرة سهلة.

وعدول امرأة العزيز إلى تغليق الأبواب يدل على وجود قدر كبير من التحكم في أمور البيت، وهو ما يؤكد ضعف زوجها، وقلة حيلته.

(١) ينظر: الظلال ٥١١/٦.

(٢) وهذا المعنى ذكره ابن تيمية في عرض تفسير قصة يوسف. مجموع الفتاوى ٢١١/١٦. تفسير الطبري ٣١٥/٦. وقد جعلها الطبري عادة في أهل مصر، وأن نساء مصر تغلب رجالها.

بل كانت الخلوة التي افتعلتها امرأة العزيز محكمة الأبواب، فالتعبير بقوله: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾[يوسف:٢٣]، يدل أنه ليس بابًا واحدًا تمَّ إغلاقه بل هي أبواب كثيرة، وهذه المسألة مفادها قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ﴾هل صيغة "فعّل" تفيد التكثير والعدد؟ أو لوصف حال التغليق وأنه وقع بقوة وشدة؟

قال البغوي: "وكانت الأبواب سبعة"(١).

وقال ابن عاشور: "والظاهر أن التشديد هنا للإغلاق بقوة وإحكام"(٢).

والحقيقة أنه لا دليل يدل على عدد الأبواب التي قامت بغلقها امرأة العزيز، وغاية ما يمكن قوله: أن "الأبواب" جمْع وأقله اثنين، كقول الزمخشري: أنه باب داخلي وباب براني(٣).

وفائدة ذكر عدد الأبواب هو محاولة الستر على نفسها، وعلى غلامها من الفضيحة، وهو ما يؤكد خطورة الخلوة عمومًا.

ومما أثر هنا ما ذكره القرطبي: "أن المرأة قالت ليوسف: ادخل معي القيطون(٤)، فقال: القيطون لا يسترني من الله"(٥).

وقد جاءت السنة الشريفة بتأكيد هذه المعاني واعتبارها؛ كما جاء في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»(٦).

وقد كثرت في زماننا هذا مظاهر الخلوة بشتى طرقها ووسائلها في التجارات، المعاملات، والمواصلات، كما كثر الاختلاط غير المشروع بين

(١) معالم التنزيل ٥/٣٥.
(٢) التحرير والتنوير ٧/٤١٥.
(٣) الكشاف ٢/٣٣٣.
(٤) لغة عبرانية، تعني: البيت في جوف بيت، وهكذا كانت القصور؛ حيث يوجد بداخلها أبواب كثيرة تقسم الغرف.
(٥) تفسير القرطبي ٦/٣١٦.
(٦) رواه الترمذي في سننه– ٥/٤١١ برقم ١١١٥. وقال: حديث حسن صحيح.

الجنسين، مما تسبب عنه كثير من الانحراف والجرائم والمشكلات النفسية.

وقد تعرضت الآيات لتقدير ثبات يوسف -عليه السلام- على العفاف، والوفاء، وكرم الخُلق.

المطلب الخامس

ضعف الرقابة

ليس في الآيات الكريمات ما يشير إلى هذا المبحث من قريب أو بعيد، وإنما هو من جملة ما يذكره المفسرون في كتبهم عند هذه الواقعة، وربما استدل البعض على هذا الأمر باكتفاء العزيز بقوله: ﴿يُوسُفُ أَعرِض عَن هَذَا﴾ [يوسف:٢٩].

وهذا غاية ما فعل عند شهود الواقعة، حيث لم يزجرها ولم يوبخها أو يعظها، وإنما اقتصر على هذا القول فقط، وعقب بكونها مخطئة بقوله: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الخَاطِئِينَ﴾ [يوسف:٢٩]، وهو ما حمل بعض المفسرين برميه بقلة الغيرة على أهله.

قال القرطبي: "قيل إنه لم يكن غيورًا فلذلك كان ساكنًا، وعدم الغيرة في كثير من أهل مصر موجودًا"(١).

ونقل مثله الرازي بقوله: "وقال أبو بكر الأصم: إن ذلك الزوج كان قليل الغيرة فاكتفى فيها بالاستغفار"(٢).

وقد ألمح إلى ذلك ابن تيمية بقوله: "وقد روى أنها قالت: هذا القبطي هتك عرضي، وحبسه لأجل المرأة معاونة لها على طلبها لدياثته وقلة غيرته، فدخل هو فيمن دعا يوسف إلى الفاحشة". وقال: "فعلم أن يوسف لم يترك الفاحشة لأجله أي: العزيز، ولا لخوفه منه، وإن يوسف لو أعطاها ما طلبت لم

(١) رواه الترمذي في سننه- ٤١١/٥ برقم ١١١٥. وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) مفاتيح الغيب ٣٣٥/٦.

يكن الزوج يدري، ولو درى فلعله لم يكن يفكر"[1].

وقد حاول ابن تيميةرحمه الله- أن يرجع السبب في هذا إلى قوة الزوجة وتمكنها من زوجها[2]. فإن هذا من أعظم أسباب هدم البيوت؛ يقول: "فكانت هي الحاكمة على الزوج القاهرة له"[3].

وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-:«ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل.

الحازم من إحداكن»[4]، ولما راجعته في إمامة الصديق قال: «إنكن صواحب يوسف»[5].

ولما أنشده الشاعر:

..... **وَهُنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غُلِبْ**[6]

وقد عهد الناس خلقًا من الناس تغلبهم نساؤهم من نساء التتر[7] وغيرهم.

والمقصود من هذا أن قلة الغيرة والدياثة توجب ضعف الرقابة على الأسرة والبيت، فلم يكن العزيز يتتبع أهل بيته، مما أوجب ضعف متابعته لهم، وهكذا يتوجب على ربِّ البيت والأسرة أن يكون حريصًا على رعيته، وأن يأمرهم بما أمر الله تعالىبه، وينهاهم عما نهى عنه، سيما في ظل انتشار وسائل الغواية في كل مكان.

(١) مجموع الفتاوى ١٥/٦٥.
(٢) المرجع السابق.
(٣) مجموع الفتاوى ١٣/١١٧.
(٤) رواه الترمذي في سننه- ٣/٢٢٥. من حديث أبي هريرة وسنده صحيح.
(٥) رواه البخاري في صحيحه- كتاب: الأذان- باب: حد المريض أن يشهد الجماعة- ١/١٣٣ برقم ٦٦٤.
(٦) البيت للأعشى ديوانه: ١٩٠. وصدره: وَقَدْ فَتَنِّي بَيْنَ عَصْرٍ مُؤْتَشَبْ.
(٧) التتر: مجموعة من القبائل المغولية التي اجتاحت الشرق العربي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وقد ظهروا في عهد قائد المغول جنكيز خان وأقاموا إمبراطورية واسعة وهي الآن تمتد من الصين إلى نهر الدانوب. معجم البلدان ٦/٤٤.

وعدل الزمخشري عن هذا المعنى إلى كونه إنما قال ذلك لحلمه ولطفه بيوسف –عليه السلام– لا لقلة غيرته، حيث قال: "وما كان العزيز إلا حليمًا"[1]، وأشار إليه أبو حيانبقوله: "وفي ندائه بيوسف تقريب له، وتلطيف"[2]،وهو محتمل؛ والأول أقوى منه لقوة الشواهد في ذلك.

ولم يمنع ابن تيميةأن يصف العزيز بأوصاف أكثر مما قيل فيه، فقد ألصق به وصف الدياثة حيث قال: "ثم إن زوجها الذي عادته أن يزجر المرأة لم يعاقبها بل أمر يوسف بالإعراض، كما ينعر الديوث، ثم إنها استعانت بالنساء وحبسته"[3].

وعلى كل حال فمراقبة الزوج وقوته وغيرته على محارم الله تعالىمن أعظم أسباب حماية البيوت من الوقوع في هذه المهالك.

واليوم وفي ظل كثرة الوسائل المفضية إلى جريمة الزنا عبر المواقع، بل بات أسهل مما مضى بكثير على جميع الفئات والطبقات من الناس، والأشد أنه في البيوت، وفي أيدي الأبناء والبنات الصغار فيهم والكبار؛ عبر الأجهزة الجديدة والانفتاح الثقافي.

في ظل ذلك بات من المهم تشديد الرقابة على تربيتنا لأبنائنا وبناتنا، وعدم التساهل في الانجراف إلى هذه التيارات القاتلة والمخلة بالآداب والأخلاق.

إننا اليوم لفي بلاء أكثر مما مضى، فجميع الوسائل سهلة وميسرة أقلها هو النظر، والعين تزني وزناها النظر، وهي سهم محرم من سهام إبليس.

(١) الكشاف ٢/٣٧.
(٢) البحر المحيط ٥/٤١٥.
(٣) مجموع الفتاوى ٦/١١.

لذا يجب على الأفراد والأمم والدول حجب مثل هذه المواقع، أو مراقبتها وتغريم من يشاهدها، وعلى المؤسسات الخيرية والعلمية النظر في الأمر بعين الاعتبار، وإيجاد الحلول الصحيحة التي تقمع هذا الخطر الذي يداهمنا، والذي يسلخ الأمة من دينها وتعاليمها وآدابها وأخلاقها.

المبحث الثاني

سبل الوقاية من الفاحشة على ضوء ما جاء في سورة يوسف ـ عليه السلام ـ

المطلب الأول

الصدق – قيام المانع

وصف القرآن الكريم يوسف –عليه السلام– بالصدق في معرض النجاة من الوقوع في الفاحشة بقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[يوسف:٢٤]. وهي جملة بمنزلة التعليل كما صرح به أكثر المفسرين[(١)].

والإخلاص: دافع داخلي في النفس مسبوق بأسباب تهيئة وتقوية وتنمية، فيكون سببًا في نبذ المعاصي والخطايا، وإجلال المنعم سبحانه والخوف منه، وهو سبب وقائي للحماية من الوقوع في أي ذنب، ليس الزنا فحسب بل الذنوب كافة، لأن حقيقة مراقبة الله مكلفًا في جميع الأحوال.

وهو في المعنى اللغوي: التنقية والتهذيب، خلصته: إذا نقيته وهذبته، وهو أصل واحد مطرد لا يتخلف شيء من أفراده عنه[(٢)].

فالإخلاص تنقية داخلية للنفس والروح من الشوائب العالقة بهما، ليصل القلب إلى مرحلة خاصة من الشفافية يشعر بما يطرأ عليه من المتغيرات التي يكون سببها مخالطة الناس ومعاملتهم، أو اقتراف الذنوب والمعاصي.

(١) تفسير القرطبي ٢١١/٦. التحرير والتنوير ٤٤٥/٦.

(٢) ينظر: لسان العرب (خلص) ١٢٦/٥. معجم مقاييس اللغة ٢٠٨/٢.

وهو لا يتحقق للعبد من أول وهلة، وإنما هو بحاجة إلى مقدمات لتحقيقه وتصحيحه، لذا فهو ليس سببًا مباشرًا للحماية من الوقوع في الفواحش، حتى يتحقق ويقوم في قلب صاحبه وصفه من غير نقصان.

وفي تعريفه عند العلماء كلام مهم لا بد من ذِكره كي ينبني المقصود به على وجه تام، فيقول الحارث المحاسبي[1]: "الإخلاص: إخراج الخلق عن معاملة الرب"[2].

وقال الجنيد[3]: "الإخلاص تصفية العمل من الكذب"[4].

وقيام هذا الوصف في قلب العبد يجعله دائمًا على خط المراقبة، لذا فهو لا يقع في المعصية لقيام المانع الحقيقي لذلك.

ومن السبل المحققة له: العناية بعمارة الباطن، والصد عن ملاحظة المخلوقين، وإفراد الحق سبحانه بالقصد، وألا تطلب على عملك شاهدًا غير الله تعالى ولا مجاز سواه.

ومن أعظمِ آثاره ما حكاه سليمان الداراني[5]: "إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء"[6].

ويوسف –عليه السلام– كان له النصيب الأكبر من هذه المعاني، فقد وصفه اللهتعالىبـ(المخلص) بفتح اللام وكسرها[7]،أما على الكسر فالمراد: أن الله استخلصه لنفسه، واصطفاه لحضرته، وهو نوع من العناية الإلهية لأنبيائه.

(١) هو: الحارث بن أسد المحاسبي من أكابر الصوفية على طريقة أهل السنة، كان عالمًا بالأصول والمعاملات واعظًا مبكيًا، من أشهر آثاره: "آداب النفوس"، توفي سنة ٢٤٣ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ٢/٦٥٣.

(٢) مدارج السالكين ٢/١٣٠.

(٣) هو: أبو القاسم محمد بن الجنيد البغدادي، صوفي أول من تكلم في التوحيد ببغداد، إمام الدنيا في زمانه، من أشهر آثاره: "دواء الأرواح"، توفي سنة ٢٩٧هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ٢/١٤١.

(٤) مدارج السالكين ٢/١٥٥.

(٥) هو: سليمان بن حبيب الداراني، قاضٍ، من ثقات التابعين، كان ينعت بقاضي الخلفاء، توفي سنة ١٢٠هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ٣/١٢٢.

(٦) مدارج السالكين ٢/١٥٣.

(٧) قراءتان. ينظر: النشر ١/٣١٣.

والمقصود أن قيام المانع في قلب المسلم من أعظم ما يحقق له طاعة ربه سبحانه، والمسلم مطالب بأن ينمي هذا الوازع ويغذيه ويقومه، فكلما قوي إيمان العبد بربه؛قوي الوازع الحامي له من الوقوع فيما لا يرضي مولاه سبحانه.

لذا فقد قال سبحانه عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ • إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:٨٢-٨٣]، فأقرَّ بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين، ويوسف من المخلصين، فكان هذا إقرارًا من إبليس بأنه ما أغواه وما أضله.

المطلب الثاني

الدعـــــــــاء

وصف القرآن الكريم يوسف –عليه السلام– بحالة فريدة من الحالات التي سجلت اعتصام هذا النبي الكريم بربه عند حلول الحوادث. فبعد أن راودته امرأة العزيز وتهيأت له، ما كان من يوسف إلا أن جار إلى الله تعالىبقوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾[يوسف:٢٣]. وقد وردت هذه الكلمة في القرآن كله مرتين كلاهما في هذه السورة من لسان يوسف –عليه السلام– هذه الأولى والثانية عند قوله: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ [يوسف:٧٩].

ومعاذ الله أي: أعوذ بالله وأستجير به مما دعوتني إليه، وهي مصدر أي: أعوذ بالله معاذًا، وهي صورة بالغة الغاية في اللجوء إلى الله تعالىوالعوذ به عند الأزمات.

وهكذا القرآن يصور لنا حالة الضعف التي يصير إليها الإنسان في مثل هذه المواقف أن يلجأ إلى القوي العزيز، وأن يستعيذ به من شر المدلهمات والخطوب، كي يستعيض عن ضعفه بمدد القوى الإلهية.

و﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾نوع من الدعاء الذي يلجأ إليه المؤمن، وقد ظهر في ثنايا هذه السورة المباركة كثرة اللجوء إلى الله تعالى من يوسف –عليه السلام– فقد تمثل الدعاء أيضاً عند قوله: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾[يوسف:٣٣]، وغيرها من المواضع.

والدعاء: هو السلاح الذي يقي من الشرور قبل وقوعها وبعد وقوعها، كما قال: «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل»[(١)].

قال القرطبي: "تعرض يوسف للدعاء، فاستجاب الله له دعاءه، وعصمه من الوقوع في الزنا"[(٢)].

ولَمَّا زاد الإغراء والخوف من كيد النسوة اللاتي قطعن أيديهن قال: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾[يوسف:٣٣].

وهذه صيغة أخرى للدعاء لجأ إليها يوسف –عليه السلام– قال ابن عطية[(٣)]: "قول يوسف –عليه السلام– ﴿رَبِّ السِّجْنُ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ كلام يتضمن الشكاية إلى الله تعالى من حاله، والدعاء في كشف بلواه، فلذلك قال الله تعالى له: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[يوسف:٣٤]"[(٤)].

وبهذا يتبين أثر الدعاء في رفع البلاء، والحفظ من الخطيئة، ومن الوقوع فيها سواء تأخرت الإجابة أو تقدمت، على أن الظاهر من قوله: ﴿فَاسْتَجَابَ﴾ هو

(١) رواه الترمذي في سننه– ٢١١/٥ برقم ٢١١١. وسنده حسن.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢٦/٥.

(٣) هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، المفسر، فقيه أندلسي، من أشهر آثاره: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، توفي سنة: ٥٤٢ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي: ١١/٦.

(٤) المحرر الوجيز ١١/٦.

التعقيب، وهو سرعة وقوع الإجابة، على ما يدل عليه حرف (الفاء) في إفادة ذلك.

والقرآن الكريم يؤكد أن النسوة كلهن شاركن امرأة العزيز في هذا الإغراء واجتمعن عليه، كما يفيده قوله: ﴿وَإِلَّا تَصرِف عَنِّي كَيدَهُنَّ﴾، وأكده الرازيبقوله: "إن النسوة اجتمعن عليه، كل واحدة منهن كانت ترغبه وتخوفه بطريق آخر، فخاف –عليه السلام– أن تؤثر هذه الأسباب القوية فيه، فعندئذٍ التجأ إلى الله تعالى"(١).

وقد حاول الرازيأن يصرف وجه الدعاء إلى مانع آخر وهو: "ما يحدثه الله في قلب يوسف–عليه السلام– من الدواعي المعارضة المنافية لدواعي المعصية، فهي موانع تطرأ على القلب بنقضه في الخطيئة وترجح كفتها على كفة فعلها"(٢).

ولا يبعد مثل هذا في كيفية إجابة الدعاء، والله أعلم بكيفيته إذ قد يصرف الله تعالى العبد عن الخطيئة لسبب عارض يخلقه عند وجودها، ويصرفها أيضًا بدون سبب؛ فهو على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير سبحانه.

المطلب الثالث

التدخل الإلهي ـ الحماية الإلهية

صرف السوء وفق وقوع التدابير الإلهية للإنسان عناية إلهية متكررة لعباده الأنبياء في القرآن الكريم، والقرآن الكريم يسجل أن يوسف –عليه السلام– مرَّبحالة ضعف إزاء هذه الحادثة بدليل هذا التدخل الإلهي الواضح في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصرِفَ عَنهُ السُّوءَ وَالفَحشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا المُخلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤].

(١) مفاتيح الغيب ٣٣٧/٥.
(٢) مفاتيح الغيب ٣٣٧/٥.

وفي عنايته سبحانه وتعالى بموسى –عليه السلام– يقول: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:٣٩].

وفي عنايته بنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– يقول: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠].

قال ابن العربي: كان بمدينة السلام إمام من أئمة الصوفية تكلم يومًا على يوسف وأخبارهحتى ذكر بتبرئته مما نسب إليه من مكروه، فقام رجل من آخر مجلسه فقال: "يا شيخ يا سيدنا: فإذًا يوسف همَّ وما تمَّ، قال: نعم، لأن العناية ثمَّ"[(١)].

قال القرطبي: "فانظر إلى حلاوة العالم والمتعلم، وانظر إلى فطنة العامي في سؤاله، وجواب العالم في اختصاره"[(٢)].

وهذه العناية تنسحب على عباد الله الصالحين، وكل من قام في قلبه ما قام في قلوب أنبيائه ، وإن كان لا يحصل ذلك على وجه تام، وفي أخبار الصالحين ما يشهد لذلك.

وقد رمى القرطبيبإشارة إلى هذا المعنى حيث ذكر قصة سليمان بن يسار[(٣)] أنه كان من أجمل الناس وجهًافاشتاقته امرأة فامتنع عنها، فرأى في نومه يوسف –عليه السلام– فقال له: "من أنت؟قال أنا يوسف الذي هممت، وأنت سليمان الذي لم تهم"[(٤)].

(١) تفسير القرطبي ٥/تفسير القرطبي ٢٢١/٥

(٢) تفسير القرطبي ٢٢٥/٥.

(٣) هو: أبو أيوب مولى ميمونة أم المؤمنين، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، ثقة عالم فقيه كثير الحديث،توفي سنة ١٠٧ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ١٣٨/٣.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢٥/٥–٢٢٦.

وليس الأمر كذلك؛ فالأنبياء محل نظر الله تعالىلهم وعنايته بهم، وقد رد ابن تيمية هذا الوهم بقوله: "ولا ينبغي الظن بهذه القصة أن ابن يسار أكمل حالاً من يوسف-عليه السلام- لأن ابن يسار لم يكن تحت حكم المرأة المراودة ولا عليه حكم ولا عليه قدرة، والفرق بينهما كبير"(١).

المطلب الرابع

التنبيـــــه الإلهـــــي

ربما كان من الصعب معرفة التنبيهات الإلهية للعبد جراء إقباله أو إدباره عليه سبحانه، والتنبيه الإلهي: هو نور يقذفه الله في قلب العبد وفق السنن الإلهية في المؤاخذة بالعقوبة يمنعه من ممارسة الخطيئة.

والبرهان: الذي رآه يوسف هو أمارة التنبيه للبعد عن معاقدة الذنب أو ركوبه، مع غض النظر هل رآه بعيني رأسه أم بعيني قلبه، مع الجزم أن علوم الأنبياء أكثرها قلبية علمية لا علاقة للمحسوسات بها، ولا أدل على ذلك من الوحي الإلهي للأنبياء.

ومع هذا فلم يترك من تكلم في معنى (البرهان) ماورد من أخبار بني إسرائيل فيالمشاهدات التي تمثلت ليوسف -عليه السلام-.

وأضعف الأقاويل في حقيقة هذا البرهان هو القول:أنه رأى كفًا مكتوبًا عليها ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[الإسراء:٣٢]. وأن الله بعث ملكًا فكتب في وجه المرأة بالدم هذه الآية(٢).

ففي هذين القولين من الكذب ما تلوح عليه لوائحه، مع أن الأول منسوب إلى ابن عباس -رضي الله عنه- ولا أظن إلا أنه أخذه عن بعض من نقل عن بني إسرائيل مثل كعب الأحبار.

(١) مجموع الفتاوى ١٥/١٦٥.
(٢) تفسير القرطبي ٤/٣٣٥.

ففي يوسف –عليه السلام– من موانع الوقوع الطبيعية ما يكفي لعدم ممارسة الذنب، والقول إن امتناعه ديني لا طبعي، قول في غاية السقوط، لأنه نفي للعفة المركبة في يوسف–عليه السلام–، وإسناد الامتناع إلى الدين وحده لا يكفي في إثبات هذه الصفات الجبلية فيه.

ويليه في الضعف قول من قال:"أنه سمع نداءًيقول: يا يوسف لا تكن كطائر كان له ريش فصار لا ريش له، أو رأى خيال سيده عند الباب فهرب"[1].

وهذه العناية تدل على أن يوسف لم يقع منه شيء، بل صرف الله كل ذلك عنه، والتعبير عن العصمة بالعرف يشير إلى أن أسباب حصول السوء والفحشاء موجودة ولكن الله صرفها عنه[2].

والصرف: نقل الشيء من مكان إلى مكان، وهو هنا كناية عن الحفظ، وحقيقته: كراهة الإقدام على الفعل وشدة جرمه؛ كما قال سبحانه:﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾[الحجرات:٧]،وهو شامل للزنا ومقدماته.

والقرآن الكريم يخبرنا أنه صرف سبحانه عنه السوء والفحشاء، ولا شك أن المراد بالفحشاء هو: الدنيا، أما السوء فقد تباينت أقوال المفسرين ما بين قائل: إنه الشهوة[3]، أو الثناء القبيح[4]، أو الخيانة[5]، وكلها تحقق ذات المقصود. وقد أكثر المفسرون من إيراد أخبار بني إسرائيل، كقول من قال: خرجت شهوته من أنامله، وقولهم: ولىَّ هاربًا[6]؛ إلى غير ذلك.

(١) البحر المحيط ٣١٣/٦.
(٢) مجموع الفتاوى ١٦٥/١٥.
(٣) تفسير القرطبي ٢٢٦/٥.
(٤) مفاتيح الغيب ٣١١/٦.
(٥) البحر المحيط ٤١٥/٦.
(٦) مفاتيح الغيب ٣١٢/٦.

قال الرازي: "وهذه الآية شهدت بطهارته التامة من الفاحشة أربع مرات؛ ﴿كَذَلِكَ لِنَصرِفَ عَنهُ السُّوءَ وَالفَحشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا المُخلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤]"(١).

المطلب الخامس

مفارقة البيئة الفاسدة

ربما كان إغلاق المنافذ الموصلة إلى الحرام الطريق الأخير لسد باب الفاحشة في الإنسان أيًّا كانت هذه المنافذ، وهو وإن كان سببًا مباشرًا غير أنه لا ينبغي ألا يهمل السبب الحقيقي في ردع النفس عن مقاربة الشهوات وتربيتها على تنمية الوازع الشرعي المبني على الوازع الطبعي في الإنسان. وربما قيل أين هذا في قصة يوسف عليه السلام؟

إن محاولة الهرب التي افتعلها يوسف –عليه السلام– للخروج من الواقع الذي كان فيه هي محاولة لإغلاق هذا المنفذ للوصول إليه، والبعد عن مواطن الشبهة.

وهذه الحالة لا تمثل البعد عن مواطن الفاحشة فحسب؛ بل الهروب منها لأن لفظ (الاستباق) يدل على طلب المسابقة والاجتهاد في أمامية السير والسبق إليه.

ووصول المرأة إلى دبر القميص يدل أن يوسف كان أسعد منها بالسبق، لأنها لم تدرك منه إلا طرف القميص فتعلقت به فقدَّته من الخلف.

هذا مع كثرة الأبواب المغلقة والتي قيل إنها سبعة أبواب(٢)، وعلى هذا فليس الباب واحدًا كما يفهم من قوله: ﴿وَأَلفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا البَابِ﴾ [يوسف:٢٥]، وقد استشكله الزمخشري بقوله: "فإن قلت: كيف وحَّد الباب وقد جمعه في قوله:

(١) مفاتيح الغيب ٦/٧٧٥.

(٢) نقله القرطبي وأبو حيان ٥/٢٢٥.

﴿وَغَلَّقَتِ الأَبوَابَ﴾[يوسف:٢٣]، قلت: أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار، والمخلص من العار"[١]. وقد روي: "أنه لما هرب جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب كلها"[٢].

وقد ورد في السنة الشريفة ما يشهد لذلك، كما ورد في قصة القاتل لمئة نفس؛ حيث جاء: «قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»[٣].

فهذا الرجل لما أراد أن يتوب الله عليه فارق البيئة التي كان فيها، فقبضه الله وشمله برحمته.

وهكذا وقع ليوسف –عليه السلام–، فسباقه وخروجه من الخلوة التي افتعلتها امرأة العزيز محاولة منه لمفارقة المكان قدر الإمكان.

وقد كثر في زماننا هذا الأماكن الصاخبة، والبقاع الداعية إلى الفواحش في كثير من البلدان، والواجب هو إنكار المنكرات، وإلا فمفارقة أماكنها وعدم معافستهم ومقاربتهم، وقد أكد القرآن الكريم مثل هذه القضايا بقوله: ﴿وَقَد نَزَّلَ عَلَيكُم فِي الكِتَبِ أَن إِذَا سَمِعتُم ءَايَاتِ اللَّهِ يُكفَرُ بِهَا وَيُستَهزَأُ بِهَا فَلاَ تَقعُدُواْ مَعَهُم حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيرِهِ إِنَّكُم إِذا مِّثلُهُم﴾[النساء:١٤٠]، وهذا أمر بمفارقة المكان الذي يخوضون فيه؛ قال القرطبي: "فدلت الآية على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر، لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر". وقال: "وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على المنكر فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية"[٤].

(١) الكشاف ١١١/٢.

(٢) نقله أبو حيان في تفسيره ٢٢٥/٥.

(٣) رواه مسلم في صحيحه– كتاب: التوبة– باب: قبول توبة القاتل– ١٣٥/٤ برقم ٤٩٧٢. من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) تفسير القرطبي ١١٥/٣–١١٦.

النتائج والتوصيات

ومما نتج عن البحث ما يلي:

١. أن العزم يبدأ بفكرة، فإذا تطورت الفكرة تحولت إلى عمل، لذا فإن الإنسان مأمور بدفع الخواطر المزعجة بكافة أنواعها كوسيلة من وسائل الوقاية من الانحراف.

٢. سبب الوقوع في المعصية هو ضعف الوازع الفطري أولاً، والديني وإهمال نداء الفطرة إلى الطهر ثانيًا،وإن سببها أيضًافي المجتمعات هو ضعف المراقبة، وإهمال إقامة الحدود والتساهل فيها.

٣. إن معصية الفاحشة لا ينصب النهي فيها عن فعلها فقط، بل كافة وسائلها المؤدية إليها؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾[الإسراء:٣٢]. لذا جاء هذا الحديث معنيًّا بدراسة الأسباب والوسائل الواقية.

٤. أن أجواء القصور والترف في الغالب لا تمضي بخير كما أخبر الله تعالى أنها سبب للطغيان، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى • أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق:٦-٧].

وكما قال الشاعر[١]:

لولاه[٢] لم تقطع يمين السارق

ولا بدت مظلمةٌ من فاسقِ

ولا اشمأز باخل من طارق

ولا اشتكى الممطول مطل العائقِ

وحبه عند ذوي الخلائق

يدعو إلى ارتكاب سخط الخالقِ

(١) أوردها الحريري في (المقامات) ٢/٣١١.

(٢) أي: المال.

٥. تنقية القصة من الأكاذيب الواردة فيها من أخبار بني إسرائيل، سيما المتعلقة فيها بنزاهة يوسف –عليه السلام– وعفته[١].

٦. دراسة الأسباب الحقيقة الواردة في الآيات على سبيل التنصيص كالهم، والمراودة، وتغليق الابواب، والخلوة، والإغراء، وجعلها أسبابًا فاعلة في الغواية والدعوة السافرة إلى الرذيلة وقياس غيرها عليها.

٧. دراسة السبل الواقية الواردة في الآيات على سبيل التنصيص كالإخلاص، والاستعاذة، وإغلاق المنافذ، وجعلها وسائل تقي من الوقوع لكونها وردت على لسان معصوم.

٨. نزاهة يوسف –عليه السلام– التامة في كل ما وقع، حتى من الهم المختلف فيه؛ حيث تبينَّ أن الراجح أن الهم لم يقع أصلاً لانتفاء متعلقه.

٩. أن كل هذه الأحداث الواردة في القصة وقعت على الصحيح قبل نبوته،لما تقرر من أن الأنبياء تبعث حين بلوغ الأشد؛ وهو أربعين سنة.

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الأعلام" للزركلي (ت:١٣٩٦هـ) طبعة دار العلم للنشر.

٣- البحر المحيط في التفسير" لأبي حيان (ت:٧٤٥هـ) طبعة دار الفكر للنشر – بيروت – بتحقيق صدقي محمد جميل.

٤- التحرير والتنوير" لابن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ) طبعة الدار التونسية للنشر – تونس -.

(١) كالقول: أنه نزع إزاره، وأنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته، وأنه رأى يعقوب يعضُّ على أصابعه ويقول له: لا تفعل. ينظر تفسير القرطبي ٢١١/٥، وغير هذا مما هو مشحون في كتب المفسرين.

٥- تفسير القرآن الحكيم = تفسير المنار" لمحمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤هـ) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب للنشر– مصر -.
٦- جامع البيان في تأويل القرآن" للطبري (ت:٣١٠هـ) طبعة مؤسسة الرسالة للنشر - بتحقيق أحمد محمد شاكر.
٧- الجامع الكبير = سنن الترمذي" للترمذي (ت:٢٧٩هـ) طبعة دار الغرب الإسلامي – بيروت – بتحقيق بشار عواد معروف.
٨- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي" لشمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ) طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - بتحقيق أحمد البردوني / إبراهيم أطفيش.
٩- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه - صحيح البخاري" للبخاري (ت:٢٥٦هـ) طبعة دار طوق النجاة للنشر - تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر.
١٠- ديوان الأعشى الكبير" للأعشى ميمون بن قيس (ت:٦٢٩م) طبعة المطبعة النموذجية –مصر - شرح وتحقيق محمد حسين.
١١- زاد المسير في علم التفسير" لابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) دار الكتاب العربي للنشر - بيروت - بتحقيق عبد الرزاق المهدي.
١٢- سير أعلام النبلاء" للذهبي (ت:٧٤٨هـ) طبعة مؤسسة الرسالة للنشر تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.
١٣- في ظلال القرآن" لسيد قطب (ت:١٣٨٥هـ) طبعة دار الشروق – القاهرة- بيروت -.

١٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" للزمخشري (ت:٥٣٨هـ) طبعة دار الكتاب العربي للنشر – بيروت -.
١٥- لسان العرب" لابن منظور (ت:٧١١هـ) طبعة دار صادر – بيروت-.
١٦- مجموع الفتاوى" لابن تيمية الحراني (ت:٧٢٨هـ) طبعة دار الوفاء- بتحقيق أنور الباز / عامر الجزار.
١٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية (ت:٥٤٢هـ) طبعة دار الكتب العلمية – بيروت - بتحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد.
١٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين" لابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) طبعة دار الكتاب العربي – بيروت - بتحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي.
١٩- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صحيح مسلم" لمسلم (ت:٢٦١هـ) طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت – بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
٢٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي "للبغوي الشافعي (ت:٥١٠هـ) طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع –الرياض - حقَّقه وخرَّج أحاديثه محمد عبد الله النمر / عثمان جمعة ضميرية / سليمان مسلم الحرش.
٢١- معاني القرآن" للنحاس (ت:٣٣٨هـ) طبعة جامعة أم القرى – مكة المكرمة – بتحقيق محمد علي الصابوني.
٢٢- معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت:٦٢٦هـ) طبعة دار صادر – بيروت.

٢٣- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير" للرازي (ت:٦٠٦هـ) طبعة دار إحياء التراث العربي للنشر – بيروت -.
٢٤- معجم مقاييس اللغة" لابن فارس (ت:٣٩٥هـ) طبعة دار الفكر للنشر تحقيق عبد السلام محمد هارون.
٢٥- المفردات في غريب القرآن" للراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ) طبعة دار القلم، الدار الشامية - دمشق - بيروت – بتحقيق صفوان عدنان الداودي.
٢٦- مقامات الحريري"للحريري (ت:٥١٦هـ) طبعة دار الباز للنشر والتوزيع – مكة المكرمة -.
٢٧- النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (ت:٨٣٣هـ) طبعة المطبعة التجارية الكبرى – بتحقيق علي محمد الضباع.